

أضواء البيان

@ 402 يقولوا يا نبي ا أو يا رسول ا ونحو ذلك . .

وقوله : { أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ } أي لا تفعلوا ذلك لئلا تحبط أعمالكم ، أو ينهاكم عن ذلك كراهة أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون أي لا تعلمون بذلك . . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من لزوم توقير النبي صلى ا عليه وسلم ، وتعظيمه واحترامه جاء مبيناً في مواضع آخر كقوله تعالى : { لَسِتُمْ مِنْكُمْ بِاللَّهِ } وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ } على القول بأن الضمير في تعزروه وتوقروه للنبي صلى ا عليه وسلم . وقوله تعالى { لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا } كما تقدم وقوله تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ } . وقوله هنا : { وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ } أي لا تنادوه باسمه : کیا محمد . .

وقد دلت آيات من كتاب ا على أن ا تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه ، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير ، كقوله : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } . { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ } . { يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ } . { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم كقوله { وَقُلْنَا يَا آدَمُ } . وقوله : { وَنَادَى نَادَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ } وقوله : { قَالَ يَا زُوحُ إِنَّ نَبَهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ } . قيل { يَا زُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا } . وقوله : { قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ } وقوله : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ فَمَّا تَبَيَّنَ لَكَ } . وقوله : { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً } . .

أما النبي صلى ا عليه وسلم فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب ، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } . وقوله : { وَعَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } . وقوله : { وَمُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ } . .

وقد بين تعالى أن توقيره واحترامه صلى ا عليه وسلم بغض الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن ا قلوبهم للتقوى ، أي أخلصها لها وأن لهم بذلك عند ا المغفرة والأجر العظيم ، وذلك في قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلِئِنَّ قُلُوبَهُمْ لَلغافلون } .

